القديس نيكولاس

أو سانتا كلوس كما حُوِّر عند الناطقين بالانجليزية عن تسميته الهولندية، أو بابا نويل كما عرف في مناطق أخرى، قد يكون له أساس.. في القرن التاسع عشر بحث الدارسون عن هذا الأساس فتوصلوا إلى شخصية الشاب الطيب المتدين الذي ورث أموالاً وهي مراهق من والديه فقرر أن يعين بها المحتاجين وخاصة الأطفال والبحارة. وتحت ظروف خاصة وقتما كان الرومان يقتلون القساوسة رُشح على صغر سنه، بالصدفة تقريباً، لهذا المنصب..

لم يثبت أنه كان يرتدي هذا الزي الكاريكاتوري، ولم يثبت أنه كان بديناً، ولكن الشعوب تحب إضافة لمستها على الأشياء..

أسطورية هذه الشخصية تأتي من سرية عطائها التي انكشفت للبعض ولكنها بقيت في الغالب مجهولة المصدر بالنسبة لمن تصلهم.. فظلت هداياه إلى اليوم تصل في ظلام الليل ولا يرى الطفل كيف جاءت.

هنا توقفت عن تتبع تاريخ هذه الشخصية التي استحقت بعطائها لقب قديس عند مانحي الألقاب الكنسيين، لأني تذكرت فوراً شخص آخر فشغلت به.. قديسنا الخاص إن لم يكن في هذا التوصيف حرج ديني لدينا، إنه الطيب الطاهر ابن الطيب الطاهر والذي يغني ذكره عن كل ذكر.. إنه عليّ بن الحسين زين العابدين رضوان الله عليهما.. ليس لدي مصادري الآن للتوثيق، ولكني قرأت قديماً أنه عندما تُوفّي رضوان الله عليه وُجد في كتفه أو في كل كتفٍ حزاً عميقاً أثار استغراب من غسله، وعندئذ تكلم خادمه..

أخبر بمشواره الليلي وهو يحمل خرجاً ضخماً ثقيلاً به أكياس دقيق، إن لم تخني الذاكرة وزيت ربما، وغيره من المؤن، وكان يمر بمائة دار في الليلة ليضع الكيس

أمامها ويدق بابها ثم يختفي من المشهد.. يا ترى ما كمية الألم التي ترافق تكوّن حزٍّ في الكتف، وكيف يمكن التعايش معها؟

وبعد وفاته رضوان الله عليه افتقدت مائة دار هذه الهبة فخرج أصحابها يسألون المعونة..

أغلقت موقع القديس نيكولاس وتهت في السيرة الأخرى.. الأكثر وضوحاً، الموثقة، الحقيقية، أحاول استيعاب عظمتها.. عبثاً أحاول..

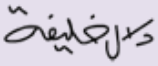

نُشر بالملحق الثقافي لجريدة الشرق القطرية بتاريخ ٢٠١٤/١٢/٢١م